هل نالت السروات حقها من البحث والتوثيق (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس، (الجزء السادس عشر) (طبعتان أولى وثانية) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م ، ١٤٤٢ هـ/٢٠٢٠م)، ص ص ١٩٩ ـ ٢٠٨ .

التراث الإسلامي [١] . ومن أهم كتبه، كتاب : **التعليقات والنوادر**، كان متناثراً في عدد من المصادر والمخطوطات، وقام الأستاذ حمد الجاسر بجمعها، وتنسيقها، وترتيبها، ونشرها في أربعة مجلدات. وفي هذا الكتاب معلومات قيمة جداً عن تاريخ وحضارة سكان شبه الجزيرة العربية، ومعظم مادة الكتاب جديدة، فلا نجدها في مصادر أخرى، كما أن صاحبها جمعها عن طريق الرحلة والمشاهدة، ومصادره في ذلك شعراء وعلماء قابلهم وسمع منهم داخل الجزيرة العربية . والأستاذ منصور بن أحمد العسيري، عكف على دراسة هذا الكتاب، وأخرج لنا بعض العلوم والمعارف الجيدة والخاصة ببلاد السروات الممتدة من صعدة ونجران جنوباً إلى حواضر الحجاز الكبرى شمالاً [٢] .

ثانياً : هل نالت السروات حقه من البحث والتوثيق ؟ بقلم أ . د. غيثان بن علي بن جريس .

م	الموضوع	الصفحة
١.	ما هو المقصود بالسروات	١٩٩
٢.	هل نالت السروات حقها من البحث والتوثيق؟	٢٠١
٣.	خلاصة القول	٢٠٧

١. ما هو المقصود بالسروات :

عندما نقرأ أو نبحث عن السروات، فإننا ندور في فلك جبال الحجاز، وهذان المصطلحان (السروات، وجبال الحجاز) مترادفان، إلا أن جبال الحجاز أوسع وأطول في نطاقها الجغرافي . والباحث عن حدود الحجاز، سيجد مصادر مبكرة عديدة، ومراجع ثانوية متأخرة فصلت الحديث عن جغرافية وأبعاد هذه الجبال [٣] . وهناك من قال: إن جبال الحجاز التي تمتد من بادية الشام إلى أرض اليمن، هي

---

(١) للمزيد عن ابي علي الهجري، انظر غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٦، ص ١٤١-١٤٢، ج١٣، ص ٢٥ .

(٢) نشكر الأستاذ منصور العسيري، مع أننا تصرفنا في بحثه وحذفنا بعض الفقرات والأشعار، وذلك من أجل نشره مع أكبر قدر ممكن من الدراسات الأخرى المنشورة في هذا السفر من سلسلة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء السادس عشر) .

(٣) معظم كتب الجغرافيا أشارت إلى جبال الحجاز مثل: ابن خرداذبه، واليعقوبي، وابن حوقل، والاصطخري، والمقدسي، والهمداني، والبكري، وياقوت الحموي، وابن المجاور، وأبو الفداء ،والقزويني، والحميري وغيرهم . كما ذكرت بعض كتب التاريخ، والأدب، والمعاجم اللغوية شيئاً من جغرافية وتاريخ أرض الحجاز وجبالها . وهناك عشرات البحوث الجغرافية، والتاريخية، واللغوية والأدبية والتراثية الحديثة ذكرت شيئاً من طبيعة وجغرافية وتركيبة جبال الحجاز . للمزيد انظر: صالح أحمد العلي " تحديد الحجاز عند المتقدمين " . مجلة العرب، (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ص١-٩، عبدالله الوهيبي، " الحجاز كما حددها الجغرافيون العرب " . مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض . (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) . ص ٥٣ - ٧٠ .

نفسها جبال السروات . وإذا بحثنا عن طبيعة هذه الجبال، أو السروات وجدناها تتصف بالعلو والارتفاع في طبيعتها الجغرافية، لكنها تتفاوت في ارتفاعاتها، فالسروات، أو الجبال الممتدة من حواضر اليمن الكبرى إلى مدينتي الطائف ومكة المكرمة هي الأكثر ارتفاعاً في جبالٍ الحجاز، وهناك جبال عديدة تمتد من مكة المكرمة إلى بلاد الشام، لكنها أقل ارتفاعاً من سابقتها، وهي جزء من أرض الحجاز المذكورة في مصادر التاريخ والتراث الإسلامي . وهذه الأجزاء الأخيرة من جبال الحجاز تختلف في تركيبتها الجغرافية من حيث تضاريسها، ومناخها، وثرواتها الحيوانية والنباتية . أما جبال السروات من الطائف إلى صنعاء فهي متشابهة في أحوالها الجغرافية وتركيبتها السكانية، وأنماط حياة أهلها الحضارية[١] .

ولن أفصل الحديث عن تاريخ وحضارة جبال الحجاز (السروات) بمفهومها الواسع، لأن هذا الموضوع ذكره الكثير من المتقدمين والمتأخرين[٢]، لكنني سوف أحصر نقاشي على الجزء الأكبر من سروات جنوب شبه الجزيرة العربية، وبخاصة البلاد الممتدة من حاضرة الطائف شمالاً إلى مدن ظهران الجنوب، ونجران وصعدة جنوباً . وأسباب تحديدي أرض السروات في هذه الرقعة الجغرافية الآنف ذكرها تعود إلى أمور عديدة، هي :

١. إن حواضر اليمن والحجاز الرئيسية (صنعاء، وتعز، وعدن، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة) دُرست ودون تاريخها وحضارتها بشكل كبير عند المتقدمين والمتأخرين من المؤرخين والأدباء وأرباب القلم والفكر . أما الأوطان الواقعة بينها، وأقصد السروات وتهامة (من نجران وجازان إلى مكة المكرمة والطائف)، فلم تنل حظها من التدوين والتوثيق إلا النزر اليسير . وبقيت على مر التاريخ تعيش في عزلة ثقافية وفكرية، مع أنها بلاد استراتيجية في موقعها الجغرافي، وكثافتها السكانية [٣] .

---

(١) هذا ما وجدته مدوناً في عدد من الكتب والبحوث العلمية المتقدمة والمتأخرة . كما أنني تجولت في معظم هذه الأوطان الممتدة من تبوك ووادي القرى والمدينة المنورة شمالاً إلى نجران وصعدة وصنعاء جنوباً خلال الأربعين عاماً الماضية، ووجدت ما أشرت إليه أعلاه واضحاً وملموساً في تركيبة الأرض جغرافياً وبشرياً .

(٢) هذه البلاد الممتدة من بلاد الشام إلى اليمن، والمعروفة بالحجاز أو (جبال الحجاز) مأهولة بالسكان منذ قديم الزمان، ولها تاريخ وحضارة عريقة وقديمة، وتستحق أن تدرس في مئات البحوث العلمية، مع أنه صدر عنها العديد من الدراسات التي تصور حضارتها وتاريخها قبل الإسلام وبعده، لكنها مازالت بحاجة إلى تضافر الجهود في دراسة موروثها وتاريخها الحضاري عبر أطوار التاريخ .

(٣) من يتجول في أرجاء هذه البلاد يتضح له وفرة خيراتها الاقتصادية، وكثرة مستوطناتها البشرية . كما يشاهد الكثير من معالمها وآثارها ونقوشها ورسوماتها الصخرية التي تؤكد على عمقها التاريخي والحضاري . المصدر : مشاهدات الباحث وجولاته في أنحاء هذه البلاد خلال الأربعين عاماً الماضية .

٢. ورد اسم هذه البلاد (السروات) أو (السراة) بشكل واضح وصريح في عدد من المصادر الإسلامية المبكرة . كما أطلق على اسم سكانها (السرو) أو (السرويون). وهذا دليل قاطع على صحة تسميتها بهذا الاسم (السروات). ونجد بعض الجغرافيين وعلى رأسهم ابن الحايك (الهمداني) يفصل الحديث عن السروات الممتدة من صنعاء إلى الطائف، وينسب كل سراة إلى القبيلة التي تستوطنها . وهناك مؤرخون وجغرافيون ولغويون جاءوا بعده، من القرن الثالث إلى العاشر الهجري (ق٩ - ١٦م)، يؤكدون على ما دونه ووثقه في كتابه (صفه جزيرة العرب) وغيره . والذاهب اليوم في أرجاء السروات من نجران إلى الطائف يجد معظم القبائل السروية التي ذكرا الهمداني في القرنين (٣ - ٤هـ/٩ - ١٠م) مازالت تقطن في أماكنها، وتسمى بأسمائها القديمة حتى الآن [١] .

٣. إن المشاهد للجبال المتفاوتة والمترابطة من الطائف حتى صعدة وصنعاء، يتأكد له صحة التسمية (السروات)، فهي عاليةٍ الارتفاع، متصلة بعضها ببعض، متشابه في حزونها وتضاريسها ومناخها، وأيضاً في تشكيلتها البشرية والحضارية[٢] .

٢. هل نالت السروات حقها من البحث والتوثيق ؟

لا ننكر أن هذه البلاد ورد ذكرها عند بعض المؤرخين والمؤلفين المتقدمين والمتأخرين، وقد صدرت بعض الكتب والبحوث عن هذه البلاد خلال الثلاثين سنة الماضية، وتحدثت عن صور من تاريخها السياسي والإداري، والاجتماعي، والاقتصادي، والمعرفي والفكري والثقافي [٣] .

---

(١) من السروات التي ذكرها الهمداني وغيره سراة جنب (قحطان)، وسراة عنز (شهران وعسير)، وسراة الحجر (بللحمر، وبللسمر، وبني شهر وبني عمرو)، وسراة غامد وزهران، وسراة بجيلة (بلحارث)، وسروات الطائف. للمزيد انظر غيثان بن جريس . " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " . مجلة الدارة . العدد (٣) . السنة (١٩) (ربيع الآخر، والجماديان / ١٤١٤هـ)، ص ٧٦. ١١١. وللمؤلف نفسه انظر: دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م) . (الرياض: مكتبة العبيكان، (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) . الجزء الأول)، ص ١٢٧. ١٦٤ .

(٢) هناك بعض اللغويين والجغرافيين والمؤرخين الذين عرَّفوا معنى السراة، أو السروات، وكان جل حديثهم عن جبال الحجاز (السروات) الممتدة من الطائف حتى قعر اليمن . ولم يقصروا حديثهم على طبيعة هذه الجبال الجغرافية، وإنما بعضهم دون صور من تاريخها الأدبي واللغوي، والاقتصادي والاجتماعي، وسمى أهلها بـ (السرو) نسبة إلى أرضهم السراة، أو (السروات) .

(٣) انظر بعض مؤلفاتي المنشورة في هذا الجانب، وهي : دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ/ ٢٠١٠ . ٢٠١١م) (جزءان) حوالي (١٠٥٠صفحة)، نجران : دراسة تاريخية وحضارية (ق١-ق٤هـ/ق٧-ق١٠م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ /٢٠١٣م) . (الطبعة الثانية) (الجزء الأول) (٥٦٢ صفحة). انظر أيضا، سلسلة : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: ١٤٢٦. ١٤٤٠هـ / ٢٠٠٥ . ٢٠١٩م) (خمسة عشر مجلدا) (حوالي ثمان آلاف صفحة)، وكتب ودراسات أخرى عديدة عن الطائف، والباحة، وعسير، ونجران، وغيرها . للمزيد انظر موقع الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس الإليكتروني .(Prof-ghithan.com)

وهناك أفراد وأقسام علمية أخرى أصدرت بعض البحوث والدراسات العلمية عن بلاد السروات قبل الإسلام، وعبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر . وبعض هذه الإنجازات العلمية في ميادين معرفية عديدة : تاريخية، وحضارية، وجغرافية، وأدبية، ولغوية، وتربوية وتعليمية، وثقافية وفكرية، بل هناك بعض البحوث العلمية البحتة في تخصصات طبية، وكيميائية، وعلوم الحيوان والنبات، والإدارة، والحاسب الآلي، وغيرها [١] .

وللإجابة على عنوان هذه المحور الذي نحن بصدده (هل نالت السروات حقها من البحث والتوثيق ؟) ، نقول (لا) ، وربما يقول قائل إنني متناقض في أقوالي، ففي السطور السابقة نؤكد على وجود بحوث وأعمال علمية عن هذه الأوطان، ثم نختم الحديث بالنفي. وأقول إن هناك بحوث ودراسات عن السروات، بعضها في هيئة رسائل علمية محبوسة في المكتبات أو الأقسام العلمية الجامعية، أو مدونات وتقارير ووثائق مازالت محجوزة في مؤسسات وأراشيف حكومية وأهلية . أما الكتب والدراسات المطبوعة والمنشورة فمازالت قليلة، وأحياناً ناقصة، أو يشوبها بعض الغموض، أو القصور، أو الأخطاء وتحتاج إلى من يعيد النظر فيها ويدرسها بشكل أفضل وأعمق .

وإذا بحثنا عن نصيب السروات في كل مجال من مجالات العلم والمعرفة، فالأمر سيختلف من ميدان لآخر . ففي علم التاريخ والآثار مثلاً نلحظ أن سكان وأرض السروات مازالت مجهولة في عصور ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المبركة والوسيطة (ق١-١٢هـ/ق٧-١٨م) ، وإذا كنت أنا وغيري بحثنا ونشرنا معلومات تحت عناوين قليلة ومحدودة، فالتاريخ والحضارة في هذه البلاد مازالت غامضة، ولا نعرف صورة شاملة وواضحة لأرضها وسكانها . والباحث في كتب التراث الإسلامي : الشرعية، واللغوية والأدبية، والتاريخية العامة والخاصة، والطبقات والتراجم، والجغرافية وعلم الرحلات، والموسوعات الإسلامية في العصور الإسلامية الوسيطة، وكتب الأنساب وغيرها فإنه لا يجد معلومات وافية عن حياة المجتمعات التاريخية والحضارية في السروات، وقد يجد نتفاً أو شذرات قليلة لا تعطي القارئ أو الباحث تصوراً واضحاً عن تاريخ وتراث هذه البلاد . منذ العصر القديم إلى بدايات العصر الحديث .

---

(١) من يطلع على فهارس المكتبات الورقية والرقمية، ويبحث في أراشيف الجامعات والكليات والأقسام الأكاديمية فإنه سوف يتأكد صحة ما تم الإشارة إليه أعلاه . وسوف يعثر على العديد من الدراسات المتفاوت في الحجم والجودة عن أرض السروات وأهلها .

وأحوال هذه البلاد البحثية منذ القرن (١٢هـ/١٨م) حتى وقتنا الحاضر ربما تكون أفضل حالاً من العصور التي سبقتها، وذلك لسهولة توفر المعلومات في الوثائق والمخطوطات وغيرها من المصادر المادية والمعنوية . ومع وفرة المعلومات وسهولة الوصول إليها، فالسروات مازالت مجهولة وغير مخدومة في هذا الجانب . والسروات عاشت تغيرات حديثة وسريعة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر، وكثير من هذه التحولات أثرت على الأرض والناس حضارياً وتنموياً، ونتج عن هذه التبدلات الكثير من الآثار الإيجابية والسلبية، وكل هذا التاريخ الحضاري لم يدرس ويحلل ويوثق[١] .

أما علم الآثار، وهو من مصادر التاريخ الرئيسية، فلا وجود له على أرض الواقع، والذاهب في أرجاء السروات سيجد كنور معرفية من الآثار المدفونة، مثل: المدن والقرى والمحطات التجارية التي ورد ذكرها في بعض المصادر التقليدية، وأصبحت اليوم أطلالاً ومعظمها مدفون تحت الأرض . أما الآثار الظاهرة على سطح الأرض فهي الأخرى كثيرة، مثل: النقوش، والخطوط، والرسومات الصخرية .وهناك آثار مازالت شاهدة للعيان كالآبار، والمقابر، والقرى والطرق القديمة، والأسواق الأسبوعية، والمدرجات الزراعية، والسدود، والأحمية، والحصون والقلاع، والكثير من الأدوات التراثية القديمة وغيرها . كل هذه المجالات الآثارية تختزل جزء كبير من تاريخ وحضارة السروات، لكنها للأسف لم تخدم ولم تجد من ينقب عنها ويدرسها ويحللها ويوثقها . والسؤال الذي يحتاج إلى إجابة، من هو المسؤول عن هذا القصور؟ . إذا قلنا أنهم المؤرخون والآثاريون فالحكم فيه إجحاف، نعم إنهم والأقسام الأكاديمية يتحملون جزءاً من المسؤولية، ولكن النصيب الأكبر تتحمله المؤسسات الإدارية والأكاديمية ممثلة في وزارة التعليم العالي، وبخاصة الجامعات، والهيئة العليا للسياحة، ووزارة الثقافة، وإمارات المناطق، وأصحاب رؤوس الأموال، فهم جميعاً يجتمعون في هذا التقصير الذي قاد إلى ضياع الكثير من آثارنا وتراثنا التاريخي والحضاري[٢] .

---

(١) أدون هذه السطور وفي بلاد السروات من نجران حتى الطائف خمس جامعات حكومية (الملك خالد، ونجران، وبيشة، والباحة، والطائف)، ولا نجد في هذه الجامعات أي مركز بحث علمي جيد يهتم بدراسة وتوثيق تاريخ هذه البلاد (على الأقل) في العصر الحديث والمعاصر (١٣٨٠-١٤٤٠هـ/١٩٦٠-٢٠١٩م) . نعم يوجد في هذه الجامعات أقسام تاريخ وعلوم إنسانية عديدة، وبعض مراكز البحوث لكنها لا تؤدي رسالتها كما يجب، ولا تولى أرض وسكان السروات اهتماماً كبيراً . المصدر : معاصرة الباحث ومشاهداته في بلاد السروات من عام (١٣٩٠-١٤٤٠هـ/١٩٧٠-٢٠١٩م) .

(٢) للأسف مازلنا بحاجة إلى وعي ثقافي يؤكد على أهمية موروثنا الحضاري المتمثل في آثارنا وتاريخنا وحضارتنا المادية والمعنوية . وجامعاتنا ومؤسساتنا التربوية والتعليمية والإعلامية مقصرة جداً في خدمة هذا الميدان الحضاري المهم . والمؤسف أيضاً أنه لا يوجد في أي جامعة من جامعات السروات الممتدة من الطائف إلى نجران أي كلية أو قسم للآثار، وهذا فعلاً قصوراً وعيباً كبيراً في سياسة هذه الجامعات الحكومية .

وليست الآثار والتاريخ العلوم الوحيدة التي تعكس حياة وحضارة المجتمعات، وإنما هناك علوم أخرى مساندة ومهمة في دراسة حضارة الشعوب . ومن تلك العلوم الجغرافيا، وعلم الاجتماع، وعلوم اللغة والأدب، وميادين التربية والفكر والتعليم . وكل علم من هذه العلوم له دور وأهمية في دراسة ناحية أو ميدان من ميادين المجتمع . وبلاد السراة من البيئات الغنية التي تستحق البحث والدراسة في هذه الفروع المعرفية . ونلاحظ في الجامعات الحكومية المحلية في السروات العديد من أقسام التربية والتعليم، واللغة العربية وآدابها، وعلوم الطبيعة والجغرافيا . وقد زرت بعض هذه الأقسام في جامعات الملك خالد، والطائف، والباحة، ونجران، ووجدت بعض البحوث والرسائل العلمية الخجولة والقليلة التي صدرت عن هذه الأقسام في موضوعات تتعلق بأرض وأهل السروات . كما ناقشت وتحدثت مع بعض أعضاء هيئة التدريس في هذه الأقسام، وسألتهم لماذا لا يضاعفون الجهود في بحوثهم وتوجيه طلابهم في برامج الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) إلى دراسة وبحث الجوانب التربوية والتعليمية، والجغرافية، واللغة والأدب؟ فقالوا هذا رأي واقتراح صائب، لكنهم مازالوا متأخرين في هذا الميدان . وأقول أنتم يا أساتذة الجامعات ويا أعضاء هيئة التدريس في الأقسام الأكاديمية عليكم مسؤولية عظيمة لخدمة الأرض والسكان التي نشأت فيها جامعاتكم، وكليتاكم وأقسامكم العلمية، ومن أهم أهداف وواجبات أي جامعة أو مؤسسة أكاديمية ان تعمل بجد وإخلاص لخدمة الأرض التي يقطنون عليها، والناس الذين يعيشون معهم . وبين ظهرانيهم .

ونجد الكثير من التحولات الجغرافية التي جرت على أرض وطبيعة السروات خلال الخمسين عاماً الأخيرة، ولا نجد بحوثاً علمية تدرس أسباب هذه التغيرات وطرق علاجها، او التقليل من أخطارها وآثارها على البيئة وما يوجد فيها من موارد طبيعية . كما أن ميدان التربية والتعليم الذي عرفته السروات منذ ظهور الإسلام حتى العصر الحديث لم تجر عليه بحوث علمية رصينة وموثقة . ومن يتأمل في التطور التربوي والتعليمي والثقافي الذي يعيشه سكان السروات منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر فإنه سيجد كماً هائلاً من العلوم والمعارف في هذه الحقبة التاريخية الحديثة والمعاصرة . وعند البحث في المكتبات والأقسام العلمية عن الدراسات الأكاديمية في هذا الجانب فلا نجد شيئاً ذا قيمة علمية جيدة، وإن ذهبنا إلى إدارات الجامعات المحلية وكلياتها وأقسامها الأكاديمية، أو إلى إدارات التعليم في عموم السروات، أو إلى بعض الأساتذة والباحثين والمؤرخين فلا نجد عندهم، للأسف، اهتماماً علمياً وبحثياً يهدف إلى جمع ودراسة وتوثيق تاريخ وتطور الحياة العلمية والتعليمية والتربوية والثقافية في بلادهم . بل إن أراشيف هذه المؤسسات التربوية والتعليمية تكاد تكون خالية من مصادر

ووثائق التاريخ التعليمي الحديث في هذه السروات، وإن وجدت بعض الوثائق والتقارير فهي محفوظة بطريقة مزرية، ويبدو أن مصيرها التلف والضياع [١] .

وميدان التعليم والتربية والثقافة في السروات كبير وواسع وبخاصة منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر، وهناك رواد تربية وتعليم كثيرون في هذه الأوطان منذ خمسينيات القرن الهجري الماضي حتى العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م)، ولا نجد أي بحوث أو دراسات تخدم هذا الجانب، مع أن الكثير من مصادر هذا الباب مازالت ميسورة والحصول عليها يسير، وإذا لم تُجمع وتوثق، وإلا مصيرها الضياع كما جرى لغيرها من مصادر ووثائق تاريخية قديمة .

واللغة العربية وآدابها في السروات من الميادين المعرفية الكبيرة، فأهل هذه السروات قبائل عربية لغتها العربية الفصيحة، ولهم صلات نسبية وحضارية وتاريخية مع غيرهم من قبائل الحجاز التي نزل القرآن بلسانهم، وينتسب إلى هذه البلاد (السروات) بعض العلماء المشاهير في ميدان اللغة . وكتب الطبقات والأعلام والتراجم مليئة بأسماء أفراد كان لهم شأن في البلاغة واللغة والبيان وبخاصة خلال القرون الإسلامية الأولى [٢] .

وتعريفات اللغة واللهجات في السروات باب كبير وغني لمن يدرسه، وفي هذه البلاد بعض أقسام اللغة وآدابها، وقد صدرت بعض الدراسات أو الرسائل العلمية الفردية والمحدودة في اللهجات السروية، ومعظم تلك الرسائل والبحوث ناقصة، ويشوبها الكثر

---

(١) عدم الاهتمام بحفظ الوثائق وصيانة الأراشيف في المؤسسات الحكومية والأهلية مشكلة كبيرة تعاني منها كل إدارة . والكارثة الكبرى عدم وجود الوعي عند الفرد والجماعات والمؤسسات الإدارية العامة والخاصة، وأهمية ما يصدر من اوراق ووثائق وتقارير وسجلات وغيرها . وقد زرت العديد من الإدارات الحكومية في مناطق الطائف، والباحة، والقنفذة، وعسير، وجازان، ونجران خلال الأربعين عاماً الماضية، وشاهدت عندهم أراشيف جيدة تحتوي على وثائق ومصادر تاريخية وحضارية متنوعة، لكنها للأسف محفوظة في أمكنة رديئة، ولا يقوم عليها من يصونها ويرتبها ويحافظ عليها. وترددت مؤخراً على بعض تلك المؤسسات التي زرتها في بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، فلم أجد شيئاً من تلك الأراشيف القديمة، وعندما سألت بعض الموظفين عن مصيرها، قالوا : تم إحراقها وإتلافها. وهذا الجهل وعدم الوعي بأهمية هذا الموروث الحضاري أوقعنا في الكثير من الأخطاء التي ضيعت الكثير من تاريخنا وحضارتنا القديمة والحديثة .

(٢) الناظر في كتب الأدب واللغة والتراث يجد أسماء شعراء كثيرين في عصر الجاهلية والإسلام ينتسبون إلى السروات، كما يجد بعض الرجال الذين وفدوا على الرسول ﷺ وكان لهم أقوال وفصاحة وبيان . بل هناك من خرج من السروات إلى حواضر العالم الإسلامي، وترقوا في سلم القيادة، والإدارة، والأدب والعلم والمعرفة، وجاء من أصلابهم من برزوا وساهموا في بناء الحضارة الإسلامية . وإذا رصدنا أعلام السروات في العلم والأدب واللغة والثقافة عبر أطوار التاريخ الإسلامي فإننا سوف نحصر المئات منهم . وللأسف إننا لا نجد بحوثاً علمية موثقة ترصد هذا الجانب الثقافي والمعرفي الجيد.

من الأخطاء او القصور . وما نتطلع إليه أن تجتهد أقسام اللغة في الجامعات المحلية إلى وضع خطط قوية ورصينة تدرس لهجات جنوب البلاد السعودية دراسات علمية موثقة، ولا يكتفى بدراسة بعض العناوين المبتورة في محتواها، وزمنها، ومكانها . وأقول إن أوطان السروات وتهامة من البلاد البكر في ميدان البحث اللغوي واللهجات .

أما الحياة الأدبية وما يتعلق بها، فالسروات تأتي من البلاد الزاخرة بأشعارها، وحكم أهلها، وأقوالهم، وقصصهم، ورواياتهم، وألغازهم، وأحاجيهم، وأمثالهم منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر . ونجد بعض مصادر التراث الإسلامي المبكرة تذكر نماذج من السرويين الذين برزوا في هذا الجانب المعرفي . لكن ما لم يدرس ولم نعرفه هو النصيب الأكبر، ويحتاج من الباحثين الجادين من يفتش عنه ثم يجمع ويدرس . والمعول على أقسام اللغة في جامعات السروات المحلية، وعلى طلاب الدراسات العليا السرويين والتهاميين في هذه الجامعات وغيرها من جامعات المملكة العربية السعودية .

وعلم الاجتماع من العلوم المهمة لدراسة مشاكل المجتمعات . وللأسف فالجامعات الحكومية الست (الملك خالد، ونجران، وجازان، والباحة، والطائف، وبيشة) لا يوجد فيها كلية أو قسم للاجتماع . والباحث في حياة السرويين وما يعتريها من قضايا ومشكلات اجتماعية فإنه سيجد الكثير من هذه المشكلات على مستوى الفرد، والأسرة، والقرية، والمدينة، والعشيرة، والقبيلة، والحاضرة، والمؤسسات الإدارية الرسمية والأهلية . ومن يزور المستشفيات، والمدارس، والدور الاجتماعية، والمحاكم، والسجون، ودوائر الشرطة، والجامعات وغيرها فإنه سيطلع على أشياء كثيرة تدور حول حياة الناس الاجتماعية بشتى جوانبها . وكل هذه الأمور تحتاج إلى مراكز بحوث، وأقسام، وكليات اجتماعية تصدر بحوثاً علمية تساعد في التقليل من المشكلات الاجتماعية، وتضع حلولاً وتوصيات للمشاكل السائدة بين الناس . إن هذا القصور من مؤسسات التعليم وبخاصة الجامعات يجب تداركه وفتح كليات وأقسام للفرد والأسرة والمجتمع تعكف على الدراسة والتدريس والبحث الاجتماعي الذي يعود بالفائدة والنفع لجميع طبقات وشرائح المجتمع[١] .

---

(١) أدون هذه المعلومات بناءً على دراية وتجوال في عموم بلاد تهامة والسراة منذ أربعين عاماً . فقد سمعت وشاهدت وعاصرت الكثير من القضايا الاجتماعية وبخاصة في بعض المؤسسات الحكومية مثل : المحاكم، ودوائر الشرطة، والدور الاجتماعية والمستشفيات، ولا أرى للمؤسسات الثقافية والتعليمية دوراً واضحاً، أو مساهمات فاعلة في دراسة وإيجاد حلول لهذه العقبات .

ونصيب السروات البحثي في العلوم البحتة قليل جداً، وأحياناً معدوم في بعض التخصصات . والإنسان والبيئة في أرض السراة ميدان رحب لإجراء العديد من الدراسات العلمية الجيدة، ففي مجال علوم الحياة، والكيمياء، والفيزياء نجد دعائم البحث موجودة، والسروات مليئة بالحيوانات، والطيور، والزواحف، والنباتات المتنوعة في أحجامها وأشكالها، وجميعها تستحق الدراسة والبحث العلمي . وقد زرت بعض أقسام علوم الحياة في جامعات السروات المحلية، فوجدت بعض الأساتذة يجرون بحوثاً على بعض الكائنات الفطرية والحيوانية، والنباتات، وبعض مصادر المياه، لكن نسبة هذه البحوث قليلة، ويجب على مراكز البحوث في هذه الجامعات المحلية أن توفر الدعم الكافي، وتشجع من يعكف على دراسات علمية ورصينة .

كما يوجد في السروات الكثير من المعادن والأحجار والكثير من مواد الطبيعة مثل الأشجار، والثمار، والمياه التي تستحق أن تكون مجالاً للدارسة في علوم الفيزياء، والكيمياء، والصيدلة، والطب. وهناك أيضاً الكثير من الأوبئة والمؤثرات المناخية والطبيعية التي تصيب الإنسان والحيوان بالأمراض، وهي أيضاً جديرة بالبحث والدراسة . وميادين الإدارة والمال والاقتصاد في عموم السروات مجالات أيضاً غنية بالبحث والتوثيق[1] .

٣. خلاصة القول :

إذا كانت الإجابة على السؤال الذي ورد في بداية هذا المحور سلبية، فذلك لا يعني أنه لا يوجد ذكر للسروات في المصادر المتقدمة، والمراجع والبحوث المتأخرة . وقد أشرنا إلى شتى المجالات وبخاصة في يومنا الحاضر حيث يوجد على أرض هذه البلاد العديد من المؤسسات الأكاديمية العالية، والأساتذة المتخصصين في مجالات كثيرة نظرية وعلمية . ولا نحصر رغباتنا وندائنا على العلوم الإنسانية كالتاريخ، والجغرافيا، واللغة والأدب، وعلم الاجتماع، فهي علوم مهمة ويجب خدمتها على أرض الواقع، وإنما هناك علوم أخرى عصرية مثل: الطب، والصيدلة، وعلوم الحياة، والفيزياء، والكيمياء، وعلم الأنواء والنجوم، والزراعة، والاقتصاد والإدارة وغيرها فجميعها

(١) لم نفصل الحديث عن كل علم ومجال في باب التوثيق والبحث العلمي في السروات . ولا ننكر وجود بعض الدراسات المتفاوتة من ميدان لآخر، لكنها قليلة ومحدودة، عن أرض واسعة الأرجاء، متنوعة التضاريس، متعددة الأعراق متباينة في الأعراف والتقاليد واللهجات والموارد الطبيعية والتركيبة السكانية . وهي ذات موقع استراتيجي تربط بين اليمن والحجاز وسواح البحر الأحمر وأطراف صحارى نجد الغربية، وكانت ميداناً لصراعات سياسية وقبلية منذ العصور القديمة وعبر عصور التاريخ الإسلامي حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم تحولت إلى جزء من دولة عصرية، هي المملكة العربية السعودية .

تستحق الدراسة والتوثيق والتأصيل . ونأمل أن نرى هذا النداء يترجم إلى واقع عملي في مؤسسات التعليم العام والعالي من منطقة نجران مروراً ببلاد عسير والباحة حتى حاضرة الطائف .

ثالثاً : مع الهجري ما بين السراة والعالية : تعليقات على التعليقات ونوادر من النوادر (عن الكاتب والكتاب) . بقلم . أ . منصور بن أحمد العسيري[١] .

م	الموضوع	الصفحة
١.	مقدمة :	٢٠٨
٢.	منطقة الدراسة	٢١٠
٣.	رواة الهجري من أهل السراة والعالية	٢١٤
٤.	النصوص الأدبية	٢٢٠
٥.	المواضع	٢٥٦
٦.	الخلاصة والدلالات	٢٨٣

١. مقدمة :

يعد هارون بن زكريا المعروف بـ"أبو علي الهجري" أحد مصادر الأدب واللغة والأنساب والجغرافيا المرموقة في التراث العربي، ولكنه مع ذلك يكاد يكون مغموراً . كما وصفه الجاسر[٢] .، إذ لم يوجد تعريف له، في المصادر العربية، ورغم أنه من رواة الشعر الذين نقلوه إلينا من مواضعه، إلا أنه لم يأخذ حقه من الذكر، فقليل من نقل عنه من مؤلفي المشرق العربي، يقول الجاسر: "أما عالمنا الهجري فإن أمره بقي مجهولاً بين أشهر علماء الشرق إلى هذا العهد إلا ما عرفوه بواسطة الأندلسيين وهو قليل بل أقل من القليل"[٣]، فقد كان جل من نقل عنه واهتم بما وفره من علم وخبر هم الأندلسيون،

(١) الأستاذ منصور من مواليد تبوك عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، بدأ مراحل تعليمه الأولى في مدينة الخرج، حصل على درجة البكالوريوس عام (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) في علم الزراعة بجامعة الملك سعود في الرياض، والماجستير من جامعة أريزونا (ASU) في الولايات المتحدة الأمريكية، عمل في عدد من مناطق المملكة العربية السعودية، وهو عضو في عدد من اللجان الاجتماعية، والاقتصادية، وحصل على عدد من الدورات في مجال عمله، وشارك في عدد من اللقاءات والندوات والمؤتمرات المحلية والإقليمية، لديه اهتمام جيد بتاريخ وحضارة شبه الجزيرة العربية، وزار عدداً من المكتبات في بلدان عربية عديدة، وصدر له حتى الآن كتابان، هما : (١) عسير والتاريخ وانحراف المسار. (القاهرة : دار الطناني للنشر، ٢٠١٢م) . (٧٤٩صفحة) .(٢) قبيلة عنز بن وائل (جذور وحضور) (القاهرة : دار الطناني للنشر، (١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م) . (٣٥٨صفحة) .

(٢) ج١، ص ٩ .

(٣) ج١، ص ١٢ .